فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

الحجون خلال القرون

L' Agôn à travers les siècles.

١ — تمهيد

اواصل البحث منذ سنين طويلة في اللغتين اليونانية والعربية عن الصلة التي تجمع بينهما . فانتج لي بحثي خلاف ما انتجه لعلماء الغرب ، أي ان بين اللغتين صلات وثيقة لاتنكر . وفي اغلب الاحيان لا يفسر الالفاظ اليونانية إلّا الوقوف على اسرار اللغة العربية . هذا اذا كانت الالفاظ اليونانية قديمة وكانت تلك الالفاظ نفسها عريقة في لغتنا ايضا . نقول ذلك عن الحروف الثنائية الهجاء في اللغتين او عن التي ترد بعناء قليل الى مقطعين اذا انعم الباحث نظره في الصلة الجامعة بين اللسانين . وقد يعكس الامر اذا كانت الكلم العربية مولدة او علمية او كثيرة الاهجية (المقاطع) ففي اغلب الاحيان تكون دخيلة او منحوتة او او مزيدا فيها حرف اوحرفان او ثلاثة تفيد فائدة جديدة لا ترى لو بقيت تلك الكلمة على حروفها الاولى .

ومما هو غريب في هذا الباب ان السلف قد حفظ الفاظا لم يبق لها معنى اليوم وكان لها معنى او معان في السابق . ولا يعرف ذلك إلّا من مقابلة اللغات ففي الالفاظ السامية الوضع ، ينظر الى معانيها في اللغات الاخوات ، وفي الالفاظ الفارسية الاصل ينظر اليها في اللغات الآرية ولا سيما في الفارسية ، وفي ما عدا ذلك تقابل بالالفاظ اليونانية .

وقد كشفت لي هذه المقابلة اسرارا عجيبة ، وانا اذكر هنا مثالا من امثلة محفوظة عندي بالمئات لا بالعشرات . من ذلك الحجون :

٢ — الحجون عند السلف

« الحجون جبل باعلى مكة عنده مدافن اهلها . وقال السكري : مكان من

البيت على ميل ونصف . وقال السهيلي : على فرسخ وثلث ، عليه سقيفة آل زياد ابن عبد الله الحارثي وكان عاملا على مكة في ايام السفاح وبعض ايام المنصور . وقال الاصمعي : الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين . (بحرفه عن معجم ياقوت).

واذا سألنا اللغويين عن سبب هذه التسمية قالوا لنا : الحجون مشتقة من الحجن وهو الاعوجاج ومنه غزوة حجون التي يظهر فيها الغازي الغزو الى موضع ثم يخالف الى غيره وقيل هي البعيدة. قال ابن الاثير : الحجون : الجبل المشرف مما يلي شعب الجزارين بمكة ، وقيل هو موضع بمكة فيه اعوجاج . قال : والمشهور الاول. اه. فقوله والمشهور الاول يعني ان هذا التأويل هو في غير محله اذ هناك من الاسباب ما نجهل تأويله . فالقول اذن ان الحجون ماخوذ من معنى الاعوجاج لا صحة له .

وعندنا ان الرأي الصحيح هو ان الحجون ماخوذ من الحجنة والحجنة على ما نقله لنا اللغويون هو اسم مصدر لاحتجن واحتجان الشيء جمعه وضمه اليك (راجع اللسان والقاموس والتاج والاساس وابن فارس في المقاييس والليث في العين) فيكون للحجون معنيان : معنى يتعلق به وبطبيعته اي انه سمي حجونا لاجتماع مواده بعضها الى بعض. ومعنى يتعلق بمن يصير اليه اي ان عند هذا الجبل يجتمع الناس ومثل مادة ح ج ن مادة : ح ج م فهي تدل على الاجتماع والانضمام. ولما كان رأينا ان اصل مادة كل فعل ثلاثي الحروف ثنائي الحروف كان اصل ح ج ن : ح ج (باصطلاح اللغويين او الصرفيين ح ج ج) ومنه الحج اي الاجتماع لغاية دينية . وليس كما قال بعض المستشرقين ان الحج مشتق من اليونانية agios ومعناه القديس والمنزه عن الدنايا والصالح البار ، انما هو من الحج كما قلنا اي من معنى الاجتماع .

اما ان معنى الحجون هو الجبل الذي يجتمع عليه الناس ، او ينضم عنده الناس بعضهم الى بعض فتراه محفوظا صريحا في الكتب اليونانية ؛ إلّا ان هذا المعنى لم يجيء عندهم إلّا بعد ان تنقلت اللفظة من حالة الى حالة فتبعتها المعاني وتدرجت معها كلما اوغلت الامة في الحضارة . وما من لغة تدلنا على هذا الامعان

في المعاني مثل هذه اللغة الهلنية (اليونانية) التي حفظت لنا هـذا التدرج او التخطي فيه ونحن نذكر للقارىء كل ذلك حسب وروده في القدم الى ان انتقل المعنى الى القرار الاخير فوقف عنده ، ونقابل كل معنى جديد بما يؤول في لغتنا الضادية فتكون هذه المعارضة مثالا لمئات من الكلمات اتت على هذا الوجه ، ويمكننا ان نخرجها على هذا الاسلوب اللغوي .

٣ — اول معاني الحجون

اول ما جاء عندهم لفظ الحجون كان بمعنى المجتمع والمحتشد وهذا يناسبه عندنا اللفظ العربي نفسه كما اوضحناه في صدر هذا المقال : ثم نقله الهلنيون الى معنى مجتمع الالهة او مجتمع تماثيل الالهة ، فيكون معناه في الوقت عينه موطن يجتمع فيه الشعب للدعاء والصلاة ويكون ذلك امام هيكل الاله ؛ ثم توسعوا في معناه ، واراد وا به المجتمع ايا كان ، اي محل اجتماع النـاس لاي غاية كانت ، فصدق عندهم على عليين اي محل في الاولنبس تجتمع فيه الالهة وصدق ايضا على المكلا (وزان المعظم) وهو المحل الذي تقف فيه السفن .

اما في لغتنا فاننا لم نجد السلف ذكروا للحجون هذا المعنى لاسباب : منها لانهم ازالوا عن اللغة كل لفظ أومعنى يدل على تحبيب الوثنية . لكننا نرى ان هذا المعنى كان معروفا عندهم وان لم يصرحوا به تصريحا بينا وذلك من سماعنا اياهم يقولون ان عند الحجون كانت مدافن المكيين في سابق العهد . وانت خبير ان المدافن كانت منذ اقدم الناس بالحضارة في المواطن المقدسة . بل نشاهد هذا الامر الى عهدنا هذا ؛ ولم يبطل في بعض المدن إلّا في العهد الحديث خوفا على صحة الناس . اذ قد يمكن ان تظهر بعض الامراض الوافدة من كشف المقابر وانتشار الجراثيم المضرة الموجودة في بقايا الاموات بين الاحياء من الخلق .

اذن اننا نرى في الحجون معبدا لآلهة وثنيي العرب ومحـل اجتماعاتهم ثم بعد ذلك اصبح مدفنا لموتاهم . وهذا امر معقول لا ينافي معتقد اي دين كان .

٤ — المعنى الثاني للحجون

ما ذكرناه من معنى اللفظة (لفظة الحجون) عند اليونان هو معنـاه الاول مع عدة فروع تفرعت منه ؛ ثم وقع معنى ثان آخر مع فروع اخرى ، وهو ان الحجون يفيد عندهم معنى المجتمع للالعاب العامة . وهـذا المعنى غير خفي عن

الاذهان ، لان الناس اذا اجتمعوا للامور الدينية في موطن ، لا يمكنهم ان يبقوا طويلا في الدعاء والصلاة والابتهال، بل يستريحون من وقت الى وقت وفي استراحتهم يندفعون الى الملاهي والالعاب وشؤون الانس . وهذا ما يقع في جميع البلاد وفي جميع الاديان . الا نعلم ان كثيرا من الملاهي اصلها من المجتمعات الدينية؟ اوليس اصحاب الفساد ينتهزون فرص المنتديات والمحتشدات ليلهوا انفسهم بما يحظره الدين ؟ وما يقع اليوم وسوف يقع الى آخر الدنيا ، كان يقع في سابق العهد. وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ومن المعنى المذكور نشأ فرع وهو: محل لهذه الالعاب او الميدان : والميدان عندهم محل واسع مفروش بالرمل وحوله مقاعد للناظرين فينزل في ساحته المصارعون والمتروضون واللاعبون انواع الالعاب . ولم يسم ميدانا إلّا لما فيه من الرمل فكأن ارض تلك الساحة تميد بمن عليها في اثناء اللعب — وها نحن اولاء بين يدي معنى جديد هو الميدان والعاب الميدان ، وهذه الالعاب كانت كثيرة العدد منها : الملاكمة والمصارعة وفيها الهجوم والدفاع ، الكر والفر ، الفتك والصد . ولقد بقي في لغتنا هذا المعنى وهو قولنا : حجن فلان فلانا عن كذا: اذا صده وصرفه . وحجن الشيء : جذبه بالمحجن الى نفسه . والمحجن هو العصا المنعطفة الراس كالصولجان وكل معطوف معوج . ولعب المحجن معروف عندنا الان ويعرف بلعب الدرك (مثل سكر) وكان معروفا عند اليونانيين ويلعبون في ذلك الميدان الذي اشرنا اليه .

اذن من معاني الحجون عندهم وعندنا الميدان والعاب الميدان بانواعها ، إلّا ان هذا المعنى مات عندنا واضمحل وبقي منه آثار في معنى الحجن والمحجن ولعب المحجن .

• — المعنى الثالث للحجون

لم يقف المعنى عند الميدان والعابه ، بل انتقل الى معنى ثالث هو المصارعة او المحاربة او الغزو ان بالاسلحة وان بالكلام أو باقامة الدعاوي . ولقد نرى اثر هذا المعنى ايضا في لغتنا اذ من معاني الحجون فيها : كل غزوة تظهر غيرها ثم تخالف الى غير ذلك الموضع ويقصد اليها . فهذه حقيقة من

بدائع هذه اللغة التي يفوق جمالها جمال سائر اللغات . اذ قد احتفظت بادق المعاني واجلها — ومن تعابير اليونانيين في هذا الصدد قولهم : الحجون للبقاء Agon peri tes psuches. وهو كما نقول اليوم : تنازع البقاء . لكن في قولهم وقولنا «الحجون للبقاء» من دقة المعنى وتصوير الاحتيال على الغير للفوز بالامنية مالا يرى في قولك : «تنازع البقاء»

ومن فروع هذا المعنى الثالث ورود الحجون عندهم بمعنى الغاية المقصودة من المصارعة أو الغزوة والخطر الناشيء من تلك المصارعة والغزوة : اذن جاء الحجون عندهم بمعنى التهلكة مهما كانت وان لم يكن هناك مصارعة او غزوة . ومن فروع ذلك المعنى ايضا الساعة الخطرة التي يفصل فيها نتاج الامر وختامه وهناك فرع سابع واخير للمعنى الثالث هو ورود اللفظة بمعنى الخوف والقلق لان المرء اذا جهل نتاج امر مهم بقي في اضطراب لما يتوقعه .

هذه المعاني هي المشهورة وطرز تفرعها تفرع الافنان والاغصان من جذع الشجرة .

٦ — معنى آخر للحجون

ومن معاني الحجون التي لم نذكرها معنى : الاله الذي يحامي عن الالعاب العامة .

انك تعلم ان الوثنيين اقاموا لهم آلهة ومعبودين يوافقونهم على جميع اهوائهم ويصانعونهم فيها . ومن جملتها هذا الاله الغريب الذي لاعمل له سوى الدفاع عن الالعاب العامة وحث الشعب على اقامتها و الانتفاع بمحاسنها . ولاجرم ان هذا الاله لم يتخذ إلّا بعد اختراع تلك الالعاب ؛ على ان المعترفين بوجوده لايقولون بذلك بل يذهبون الى ان المعبود المذكور كان موجودا قبل الالعاب نفسها ، بيد ان الناس لم يعرفوه إلّا بعد عهد الالعاب . وعلى كل حال فان مقامه بين تفرع المعاني غير معين فجعلناه هنا مع التنبيه الى قلق مكانه من المعاني المذكورة .

٧ — من اين جاءت كلمة الحجون عندهم وعندنا

الحجون عند اليونانيين مشتقة من فعل Ago الذي له عدة معان ومن جملتها ساق ودفع الى مجتمع ثم تفرعت سائر المعاني من باب التوسع ؛ على ما بيناه في صدر المقال . وكذلك القول عن مادة ح ج ن العربية . فانها ناشئة من مادة ح ج ا

(اي ح ج و) . قال لغويونا . حجت الريح السفينة : ساقتها . ومن السلف وقبائلهم من كان يجعل الجيم دالا وبالعكس فقالوا في حجا : حدا ومنه قولهم : حدا فلان الابل : وحدا بها زجرها وساقها . وحدت الريح السحاب ساقته كحجته وهكذا لو اردنا ان نتتبع هذه المادة وفروعها لكشفت لنا اسرارا هي غامضة في نظر البعض ، الا انها جلية واضحة في نظر اللغوي متقفي الخبايا في الزوايا .

ولو كتبنا عن هذه المادة خمسين صفحة لما كفتنا لقتل الموضوع بحثا الا اننا اردنا ان نشير الى ما في ثناياها من الاسرار والغوامض ليقاس عليها مئات من الالفاظ، يسار بها هذا السير من التحقيق والتدقيق ، فتتلاقى فيه اللغتان اليونانية والعربية وتتصافحان لتعترفا بان الواحدة هي اخت الاخرى وليس كما يظن ابناء الغرب ، انهما عدوان لايتلاقيان في شيء من الالفاظ ابد الدهر !

٨ — اعتراض

ورب معترض يقول : ان الحرف الاول في اليونانية هو حرف رقيق (اي همزة Esprit doux) اما في العربية فهو حرف مفخم Esprit fort فالكلمتان غير متشابهتين؟

قلنا : من شان لغات الغربيين ان يخففوا الحروف الحلقية تيسيرا للتلفظ بها . فهم يقولون مثلا هوا ونوء واساك وياكوب . اما نحن العرب مع جميع الساميين فنبقي الحروف الحلقية على حالها ونقول : حواء ،ونوح ، واسحاق ويعقوب وامثال هذا التعبير لايعد بالعشرات اوبالمئات بل بالالوف ، فهو اشهر من ان يذكر .

٩ — الختام

وفي الختـــام نصرح للقراء اننا جمعنا مثل هذه الكلم شيئا كثارا لايحصى ونزيد على ذلك : ان بعض الالفاظ اليونانية اوالرومية لاتنجلي معانيها إلّا بمراجعة العربية التي فيها ، وفيها وحدها ، مفتاح جميع المغلقات . ولا بد من اننا نبين شيئا من هذه الغوامض كلما اتسع لنا المجال او وافقتنا الاحوال ، ونحن لانرتاب ابدا في صحة قولنا ، وان خالفنا به ابناء الغرب من المستشرقين بل خالفنا به ابناء هذه اللغة العققة الاغرار الذين يدعون العلم ومعرفة اصول اللغة وهم بعداء عنها بعد الثريا عن الثرى .فلينصفوا انفسهم وامتهم ولغتهم ووطنهم.